***المحاضرة08/ أبعاد الفن في البناء الاجتماعي.***

تمهيد/ نحاول من خلال هذه المحاضرة معرفة أهم الأبعاد الأساسية التي تعكسها الفنون في المجتمعات سواء كانت تقليدية أو عصرية لأن الفن له موقع ودور ووظيفة خاصة في المجتمع, لما له من أبعاد مختلفة ودور فعال فيه يتجلى من خلال وظيفته الاجتماعية والفنية والحضارية ,وانعكاسها في البناء الاجتماعي للمجتمعات على اختلاف بنياتها وأنماطها وخلفياتها الحضارية والثقافية

***1- البعد الاجتماعي:*** تنبثق العلاقة الجدلية بين الفن والمجتمع من حاجات المجتمع نفسه إلى طرق فعالة بالنسبة لوضع الفرد ضمن الجماعة وعلاقته معها مرسخا بذلك تركيبه الوضيفي نفسه الذي تكون عبر تاريخه الطويل ومن جهة أخرى فإن متطلبات المجتمع والتغيرات الحضارية التي تحدثها شروط الحياة الاجتماعية تؤدي بدورها إلى خلق وسائل وأساليب فنية جديدة متواصلة مع تركيب النشاطات الفنية،وهكذا فإن النشاط الفني كان على مر العصور متلائما في كل مرة مع متطلبات المجتمع وحاجات أفراده وإهتماماتهم وعلاقاتهم الإجتماعية وضمن مكانته في نظام الإنتاج الروحي حسب عالم إجتماع الفن هوزر ارفولد في كتابه الفن والمجتمع عبر التاريخ ان هذه الجدلية حسب ابراهيم الحيدري لها دلالة مبدئية بالنسبة لنظرية الفن حيث تحدد في الأخير طبيعة الفن ووضيفته الإجتماعية[[1]](#footnote-2)

ولكي نفهم البعد الإجتماعي للفن يجب أن نفهمه من خلال عملية توضيفه الواقعي،أي من خلال ذلك الفعل العملي الذي نشأ الفن من أجله ونتجت عنه كل خصائصه وصفاته الداخلية وقدراته وآلياته،يجب أن نفهم الفن من خلال المهام التي يقوم بها في الحياة الإجتماعية وكيفية آذائه لها وفقا للقوانين الموضوعة للتوظيف الاجتماعي للفن[[2]](#footnote-3) فالفن ينبثق من دافع إنساني بهدف إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية والفكرية،وله وسيلة هي التعمير عن تلك الحاجات الإنسانية عن طريق عرض تلك الفنون والصناعات وإستخدامها في الحياة اليومية،ومن هنا كان الفن ولايزال عنصرا مهما من العناصر المادية والمعنوية الذي يعبر عن دوافع ورغبات وحاجات أفراد المجتمع،وقد دعى الفن منذ أقدم العصور وحتى الآن بالمرأة التي تعكس حياة الإنسانوهمومه وأمالة وطموحاته[[3]](#footnote-4)

***2-البعد الإتصالي:***كما للفن البعد الإجتماعي والتثقيفي والتربوي له كذالك بعد إتصالي،حيث يقوم مقام وسائل الإعلام والدعاية والإتصال بأفراد المجتمع وذلك عن طريق نقل الأفكار والمعاني والعواطف والقيم والإنفعالات بين أفراد المجتمع عبر مختلف العصور.

***3-البعد الترفيهي:***للفن كذالك بعد ترفيهي من خلال وظيفته الترفيهية التي تتمثل في قدرته على بعث الأحاسيس بالمتعة والجمال كما في بعض الحرف اليدوية التي تتميز بالزخرفة والمنمنمات والألوان الجذابة التي تجدب الآخر لتذوقها والمتعة من خلالها,بالإضافة إلى فن الغناء والرقص والتصوير فالمتعة التذوقية للفن هي نتيجة مباشرة للعمل الفني التطبيقي وهي الطاقة الإبداعية عند الفنان التي تقود إلى أعمال فنية جديدة تنبثق من مادة الواقع الإجتماعي[[4]](#footnote-5)

***4-البعد الروحي:***لقد عرفنا فيما سبق بأن الفن ينطلق من دوافع متعددة ومنها الدافع الروحي حيث يحاول الفنان من خلال منتوجه الفني ان يترجم الفن الروحي لمنتوجه,وهما لاشك فيه فإن الفنون على اختلاف أنواعها وأشكالها تلعب دورا مهما وأساسيا في الممارسة الدينية والطقوس السحرية وبصورة خاصة مباني المعابد والمنحوتات والصور والرسوم والرقص والغناء والمسيقى والتمثيل وتمتاز هذه الفنون بكونها تستطيع بدورها خلق أجواء عاطفية وفكرية وروحية في أوقات ممارسة تلك الطقوس والمراسيم الدينية[[5]](#footnote-6)فالفنون إذا إلى جانب الوظائف العديدة التي تقوم بها إلى جانب الوظيفة الروحية التي تتوخى وتعميق الروح الدينية والطقوسية بين أفراد المجتمع وتظهر هذه الأهمية في كون الذين يلعبون دورا أساسيا في تحقيق التآزر والتضامن الإجتماعي وتزويد المجتمع بالقيم والمفاهيم الضرورية للتفاهم ومنحهم مبادئ روحية وأخلاقية معينة تشكل بعضها مع البعض الآخر نظاما متكاملا يتضمن نظرة الإنسان إلى الكون والحياة ويحدد مواقفه وينسقها تجاه الآخرين وتجاه الطبيعة والمحيط الذي يعيش فيه,كما انه يدفع الأفراد إلى إبتكار أساليب وطرائق عديدة كالعقائد والطقوس والعبادات والأساطير وغيرها للإهتداء بها في حياته اليومية وحل مشاكله وتحديد سلوكه الإجتماعي[[6]](#footnote-7)

***5-البعد الجمالي:***إن كثير من الفنون والصناعات الحضارية والحرف اليدوية التي تقوم بها النساء تعكس غالبا إحساسا بالجمال وبصورة خاصة فنون التطوير والمنمنمات والحياكة والأزياء والسجاد والأواني الفخارية,وتشتهر شعوب وسط آسيا وقبائل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية وغيرها بفنون وصناعات يدوية تعكس تذوقا جماليا عاليا ومثالا على ذلك ما تشتهر به شعوب أخرى بنوع أخر من أنواع التطريز ذي الزوايا المختلفة والأشكال الهندسية المنسقة ذات الألوان المختلفة[[7]](#footnote-8)

فالفن بصورة عامة والتقليدي على وجه الخصوص لايخلو من إحساس جمالي وعاطفي فإلى جانب وظيفته الإجتماعية الأساسية فإنه يوقظ في الإنسان الشعور بالفرح,ففي اللحظة التي يفرح فيها الإنسان يشعر بالجمال,حيث يكشف الإنسان في الشيء الذي أنتجه,ليس مجرد وسيلة عملية فحسب بل شهادة لقياسه بعمل خلاق متميز[[8]](#footnote-9)فالطابع الجمالي هو الصورة العاكسة لأي عمل فني مهما كانت طبيعته ونوعه ومصدره لأنه منتوج في المحيط الاجتماعي الذي يستهلكه.فإذا غابت الصورة الجمالية اعتبار هذا المنتوج عمل فني مهما بلغت تقبله واستهلاكه من طرف المجتمع لتلبية حاجياته الأساسية او الثانوية.

***6-البعد التكنولوجي:***يعتبر الفن هو المقدرة التي يمتلكها الإنسان في صنع عمل فني جميل ومفيد,فمعنى هذا ان الفن هو خلق وإبداع إنساني ومقدرة أزلية أصلية في الإنسان الذي يتميز عن غيره من الكائنات الحية الأخرى بوعيه وامتلاكه اللغة وقابلية للعمل,وقد بدأت الأعمال الفنية مع محاولات الإنسان القديم في تقليد الحيوانات وتشكيل الصور,وعمل الآلات والأدوات المجردة البسيطة التي إستعملها الإنسان لتكسية حاجاته اليومية والأساسية[[9]](#footnote-10),وتطورت بعد دلك الفنون لذا الإنسان بتطور معرفته وخبرته العملاتية في الحياة,وكانت هذه العلامات بداية تطور العمل المادي للحضارة التي ارتبطت بما يسما بالتكنلوجيا البدائية,أي مجموع الوسائل والأساليب التي امتلكها الإنسان القديم واستخدمها لجمع الموارد الأولية في الطبيعة مباشرة وحولها إلى أدوات وآلات ولوازم استعملها في حياته اليومية وسد حاجياته المادية المختلفة في جمع القوت وبناء المسكن وعمل الملابس وأدوات الصيد والقنص وغيرها[[10]](#footnote-11) فالبعد التكنولوجي لا يمكن أن يبعد عن الأعمال الفنية لأنها تأسست بوسائل بسيطة وأخذت بالتطور إلى ما هي عليه الآن في المجتمعات المتحضرة والبالغة مكانة متقدمة من التكنولوجيا لكن قاعدتها الأساسية كانت بسيطة وبعدها الأساسي والجوهري هو تلبية حاجات الإنسان في المجتمع.

***خلاصة:*** للفنون أبعاد مختلفة في البناءات الاجتماعية المتباينة حسب البيئة الطبيعية الاجتماعية والثقافية التي لها علاقات جدلية مترابطة معا بعضها البعض في التشكل والتأثر, ورغم ذلك فإن الفن في أي بناء اجتماعي يأخد نفس الوظائف والأبعاد ومن بينها التي ذكرناها في المحاضرة وهي البعد الاجتماعي والبعد الجمالي والبعد الاتصالي والبعد الثقافي والبعد التكنولوجي

1. ابراهيم الحيدري:إثنولوجية الفنون التقليدية،دار الحوار،سوريا،1984،ص128. [↑](#footnote-ref-2)
2. نفس المرجع،ص128. [↑](#footnote-ref-3)
3. نفس المرجع,ص129. [↑](#footnote-ref-4)
4. نفس المرجع,ص136. [↑](#footnote-ref-5)
5. نفس المرجع,ص138. [↑](#footnote-ref-6)
6. نفس المرجع,ص137. [↑](#footnote-ref-7)
7. نفس المرجع،ص158. [↑](#footnote-ref-8)
8. نفس المرجع,ص159. [↑](#footnote-ref-9)
9. نفس المرجع,ص143. [↑](#footnote-ref-10)
10. نفس المرجع,ص143. [↑](#footnote-ref-11)